قصـــــة الغـــــاب

(رجوع موجلى)

مَدَّ مُوجْلِي يَدَهُ القَوِيَّةَ السَّمْرَاءَ ، يَتَلَمَّسُ بِهَا ذَقَنَ بَاغِيرَا ، فَشَعَرَ ، لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ، بِقُوَّةِ عَضَلَاتِهِ الْمُخِيفَةِ تَحْتَ شَعْرِهِ اللَّامِعِ ، ثُمَّ هُوَ يَلْمِسُ قِطْعَةً عَارِيَةً مِنَ الشَّعْرِ .

اسْتَأْنَفَ بَاغِيرَا كَلَامَهُ ، قَائِلاً : « إِنَّكَ ، يَا مُوجْلِي ، أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ أَنَّ بَاغِيرَا ، الَّذِي يَخْشَى الْجَمِيعُ بَأْسَهُ ، لَهُ هَذِهِ الْعَلَامَةُ » .

فَأَثَارَ هَذَا الْقَوْلُ رَغْبَةَ مُوجْلِي فِي مَعْرِفَةِ سِرِّ هَذِهِ الْعَلَامَةِ . فَقَالَ : « هَلَّا حَدَّثْتَنِي عَنْ سَبَبِهَا ؟ فَإِنِّي أَزْدَادُ شَوْقًا لِمَعْرِفَةِ أَمْرِهَا » .

قَالَ بَاغِيرَا : « اسْمَعْ أَيُّهَا الْأَخُ الصَّغِيرُ ، إِنَّنِي وُلِدْتُ وَرُبِّيتُ بَيْنَ أَهْلِكَ بَنِي الْإِنْسَانِ . وَهَذِهِ الْعَلَامَةُ مِنْ أَثَرِ الطَّوْقِ الَّذِي وَضَعُوهُ فِي رَقَبَتِي ، وَأَنَا صَغِيرٌ . وَمِنْ أَجْلِ هَذَا دَفَعْتُ عَنْكَ الْفِدَاءَ فِي مَجْلِسِ الذِّئَابِ عِنْدَمَا كُنْتَ صَغِيرًا » .

فَقَالَ مُوجْلِي مَذْهُوشًا : « وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ » ؟

قَالَ بَاغِيرَا : « اصْطَادَ أَبِي صَيَّادٌ مِنْ بَنِي جِنْسِكَ ، وَذَهَبَ بِهَا إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ (باوريور) . ثُمَّ مَاتَتْ ، وَأَنَا صَغِيرٌ ، فَحَزِنْتُ حُزْنًا شَدِيدًا لِمَوْتِهَا ، وَحَلَّ بِي أَلَمٌ لَا يُوصَفُ ، لِأَنِّي كُنْتُ أَشْعُرُ أَنِّي بَيْنَ قَوْمٍ يَلْهُونَ بِمُشَاهَدَتِي ، وَأَنِّي بَعِيدٌ عَنْ أَهْلِي وَوَطَنِي . فَمَا كَانَ مِنِّي إِلَّا أَنْ ضَرَبْتُ الْقَفَصَ بِيَدِي ضَرْبًا شَدِيدًا ، حَتَّى انْكَسَرَ . فَقَفَزْتُ ، وَعُدْتُ إِلَى الْغَابَةِ . وَلَكِنِّي ، وَالْحَقُّ يُقَالُ ، اسْتَفَدْتُ كَثِيرًا مِنْ حِيَلِ بَنِي الْإِنْسَانِ ، وَصِرْتُ أَشَدَّ بَأْسًا مِنْ شِيرْخَانَ . أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

فَقَالَ مُوجْلِي ضَاحِكًا : « نَعَمْ ! نَعَمْ ! الْكُلُّ يَهَابُونَكَ ، وَيَخْشَوْنَكَ إِلَّا مُوجْلِي . »

فَرَدَّ بَاغِيرَا ، بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْكِيرِ : « آه ! إِنَّكَ شِبْلُ إِنْسَانٍ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ كَمَا فَعَلْتُ ، فَتَعُودَ إِلَى أَهْلِكَ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَكَ الذِّئَابُ غَدْرًا » .

فَقَالَ مُوجْلِي مَدْهُوشاً : « يَقْتُلُونَنِي ؟ وَلِمَ ؟ »

سَكَتَ بَاغِيرَا هُنَيْهَةً ، ثُمَّ قَالَ « إِنَّكَ تَعْلَمُ يَامُوجْلِي مِقْدَارَ مَا أُكِنُّهُ لَكَ مِنْ حُبٍّ . أَمَّا الْآخَرُونَ فَإِنَّهُمْ يَمْقُتُونَكَ أَشَدَّ الْمَقْتِ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مُقَاوَمَةِ نَظَرَاتِكَ ، وَلِأَنَّكَ أَقْدَرُ الْجَمِيعِ عَلَى اسْتِلَالِ الشَّوْكِ مِنْ أَرْجُلِهِمْ ، وَبِالاخْتِصَارِ ، لِأَنَّكَ رَجُلٌ » .

فَقَالَ مُوجْلِي مُتَأَلِّماً ، وَقَدْ أَدْرَكَ مَرْكَزَهُ : « لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ ذَلِكَ » . فَاسْتَمَرَّ بَاغِيرَا قَائِلاً : « إِنَّ أَكِيلَا يُقَاسِي الْأَلَمَ كَثِيراً فِي صَيْدِ أَضْعَفِ الْحَيَوَانِ . وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الذِّئَابَ تَتَرَقَّبُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، يُقَدِّرُ عَلَى أَكِيلَا الْفَشَلُ فِي صَيْدِهِ ، كَيْ تَتَمَرَّدَ عَلَيْهِ وَعَلَيْكَ ، وَتَفْقِدَ مَجْلِسَهَا ، عِنْدَ الصَّخْرَةِ ، لِطَرْدِكَ مِنَ الْقَطِيعِ » . ثُمَّ سَكَتَ بَاغِيرَا مُفَكِّراً ، وَقَالَ : « وَجَدْتُ حَلّاً مُدْهِشاً ! اذْهَبْ ، الْآنَ ، إِلَى الْوَادِي ، حَيْثُ يَعِيشُ بَنُو الْإِنْسَانِ ، وَائْتِ بِبَعْضِ « الْوَرْدِ الْأَحْمَرِ » الَّذِي يَنْمُو هُنَالِكَ . حَتَّى إِذَا حَانَ الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ يَخْلَعُونَكَ ، فَسَيَكُونُ لَكَ مُعِينٌ أَقْوَى مِنِّي ، وَمِنْ بَالُو ، وَمِنْ أُولَئِكَ الْجَمَاعَةِ مِنَ الذِّئَابِ الَّتِي تُحِبُّكَ . هَيَّا ! وَأَحْضِرْ بَعْضاً مِنَ (الْوَرْدِ الْأَحْمَرِ) » .

وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْوَرْدُ الْأَحْمَرُ ، الَّذِي كَرَّرَ اسْمَهُ بَاغِيرَا ، إِلَّا النَّارَ . غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ مِنْ سُكَّانِ الْغَابَةِ عَلَى النُّطْقِ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ . فَكَانُوا جَمِيعاً يَرْتَعِدُونَ خَوْفاً مِنْهَا ، وَيَحْتَالُونَ فِي وَصْفِهَا بِعِبَارَاتٍ كَثِيرَةٍ .

قَالَ مُوجْلِي : « الْوَرْدُ الْأَحْمَرُ ؟ هَذَا الَّذِي يَنْمُو فِي اللَّيْلِ عِنْدَ أَكْوَاخِ بَنِي الْإِنْسَانِ ؟ سَأُحْضِرُ بَعْضاً مِنْهُ » .

قَالَ بَاغِيرَا ، وَالسُّرُورُ يَمْلَأُ نَفْسَهُ : « هَكَذَا يَتَكَلَّمُ السُّبْلُ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ . وَلَكِنْ تَذَكَّرْ ، يَامُوجْلِي ، أَنَّهُ يَنْمُو فِي أَوْعِيَةٍ صَغِيرَةٍ . هَاتِ وَاحِداً مِنْهَا ، وَاحْتَفِظْ بِهِ لِوَقْتِ الْحَاجَةِ » .

قَالَ مُوجْلِي ، وَقَدْ طَرَقَ بَاغِيرَا بِذِرَاعَيْهِ : « حَسَناً . إِنِّي ذَاهِبٌ . وَلَكِنْ أَمُتَأَكِّدٌ أَنْتَ أَنَّ كُلَّ هَذَا مِنْ فِعْلِ شِيرْخَانَ ؟ »

فَقَالَ بَاغِيرَا : « أُقْسِمُ بِحَقِّ الْقُفْلِ الْمَكْسُورِ الَّذِي خَلَّصَنِي مِنْ أَسْرِي أَنَّنِي مُتَأَكِّدٌ مِنْ ذَلِكَ ، أَيُّهَا الْأَخُ الصَّغِيرُ » .

فَقَالَ مُوجْلِي : « وَأَنَا أُقْسِمُ بِحَقِّ الثَّوْرِ الَّذِي فَدَيْتَنِي بِهِ أَنَّنِي سَأُرِي شِيرْخَانَ مَالَمْ يَرَهُ » .

وَذَهَبَ يَعْدُو إِلَى الْقَرْيَةِ .

مطبعـــــة مصر

شركة مساهمة مصرية – من مؤسسات بنك مصر

٤٠ شارع نوبار باشا (سابقاً شارع الدواوين)

استعدادات مطبعة مصر للطباعة بأنواعها قلّ أن تتوافر فى مطبعة واحدة